ISSN 2598-0637

أثر الحضارة الإسلامية فيتطور اللغة العربية

فيصل محمود آدم إبراهيم ومنير يوسف عبد الحفيظ صالح
جامعة القرآن الكريم السودان وجامعة بنغازي ليبيا
faisalmahmoud29@gmail.com

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، ورفع أمة الإسلام فوق باقي الأمم، أحمدك اللهم حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على من اخترته واصطفيته بعظيم محبتك وحنانك محمداً -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وبعد .

إن تقدم اللغة العربية يرتبط كثيرا بتقدم الحضارة الإسلامية بالاعتماد على سلسلة التواريخ الماضية حيث أن الحضارة الإسلامية هي أساس اللغة العربية وأداتها ووسيلتها في الوصول إلى التقدم، ومكانة اللسان العربي جزء لا يتجزاء عن الحضارة الإسلامية حيث أنها حضارة تمتد في العديد من البلدان، والتي لها صلة تاريخيّة وحضاريّة واجتماعيّة مع الإسلام بشكلٍ أساسي، وتمتد هذه الحضارة في مناطق الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وآسيا الوسطى، وباكستان، وبنغلادش، وإندونيسيا، وماليزيا كما أنّ هذه الحضارة تنفرد بخصوصيّة ثقافيّة أساسها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

وإن لسان العرب المبين، من أبين الألسنة دلالةً، وأوسعها معجما، وأذهبِها في فنون القولِ والبلاغة، وصنوف البيان والفصاحة، ممّا خدم الكتاب المنزل، وكلام نبيّه المرسل، وكان عوْنا على فهمِهما. ولقد عُني به العلماء منذ القديم وخصّوه بعناية لم يحْظ

بها أي لسانٍ آخر. غير أن اللغة العربية تعاني اليوم معاناة شديدة وتكافح كفاحا شديدا من أجل البقاء ومنافسة اللغات الأخرى في ظل عصر العولمة الحديثة

تناول هذا بالبحث قضية الحضارة وتأثيرها على اللغة التي هي وعاء الفكر الإنساني للتعبير عن معتقداته وثقافته عبر التاريخ والزمان. وليسهل فهمه والاطلاع عليه فقد قسمه الباحث إلى مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة على النحو التالي : المبحث الأول : مفهوم الحضارة الإسلامية. المبحث الثاني : مفهوم اللغة العربية. المبحث الثالث : مقومات وخصائص الحضارة الإسلامية. المبحث الرابع : القرآن أساس اللغة العربية. المبحث الخامس : أثر الحضارة على العقيدة والفكر والثقافة اللغة. المبحث السادس : مظاهر تطور اللغة العربية عبر العصور. المبحث السابع : موقف اللغة العربية بين لغات العالم اليوم. المبحث الثامن : كيف تستعيد اللغة العربية مكانتها في عصر العولمة.

أسأل الله أن يجعله صالحا ولوجهه خالصا. وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مفهوم الحضارة الإسلامية لغة واصطلاحا

معنى الحضارة لغة

الحضارة لغة: من الحضر والحضرة و الحاضرة وهي: خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار. لقد استخدم ابن منظور (١٧٧هـ:١٩٧) الحضارة بمعنى الحضر وهو الاستخدام الوحيد، وقد أورد استخدامات أخرى للحضر بطريقة مختلفة، وهي: الحضور نقيض

المغيب، وحضر حضورا حضارة. بمعنى عنده. قرب الشيء. جاء بمعنى أتى. الحضر خلاف البدو، والحضارة الإقامة في الحضر. الحاضر: الحي العظيم. الحاضر ضد المسافر.

معنى الحضارة اصطلاحا

لم يتفق الباحثون في التاريخ وعلم الاجتماع على تعريف معين للحضارة، وإنما اختلفت تعريفاتهم تبعا لاختلاف عقائدهم ومذاهبهم ومدارسهم، وجاء العرب المحدثون ليقول البعض منهم إن الحضارة: هي عقائد دينية، وازدهار اقتصادي، وإنجازات إنشائية، وأنظمة تشريعية، وتضامن اجتماعي، وفق تقاليد وعادات موحدة، أو قوى حربية. ومنهم من عدها بأنها: الإنجازات التي تحققت للبشرية، أو تحققها البشرية، من خلق وسلوك ومعارف، بينما يراها آخر بأنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة، مقصودا أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية (عارف، ١٩٩٤:١٦).

وأوّل من توسّع في الكلام عن الحضارة والتفريق بينها وبين البداوة هو "عبد الرحمن بن خلدون" الّذي يرى أنّ الناس حين تخطَّوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضُّر. ثمّ تزيد حالة الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غايتها فيتّخذون القصور والمنازل ويُجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون من

استجادة ما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان (خلدون، دون تارخ:١٣٢).

كذلك يختلط اللفظان: الحضارة والثقافة، في معناهما بكلمة المدنية وإن كان اختلاط هذه الأخيرة بكلمة الحضارة أعم من اختلاطها بالثقافة؛ إلا أن المدنية أصلا تدل على سكنى المدن. وقد تطور معناها حتى أصبح يدل على أقصى ما يصل إليه مجتمع ما في ميدان حضارته أثناء عصر من العصور. وهكذا نجد أن كتب اللغة تميل إلى ترتيب مراحل التطور الاجتماعي إلى البداوة ثم الحضارة وأخيرًا المدنية، على اعتبار أن البداوة تقوم على حياة الحيوان من صيد ورعي فمن دَأْبِهَا التنقل وعدم الاستقرار(عصفور، ١٩٨٧م:١٧).

مفهوم اللغة العربية لغة واصطلاحا

إن اللغة نعمة من النعم التي لا ينفك الإنسانُ ينتفعُ بها، وهبة عظمى لا تقل عن نعمة الحواس التي يدْرك بها العالم. وهي قبل ذلك كلّه يستعملُها النّاسُ للتفاهم والتلاقح والتّواصل، ولولم تكن للناس لغة يتخاطبون بها لما عرفوا لهم هدفًا، ولما استطاعوا وصْل ماضيهم بحاضرِهم، ولا نقلَ المعرفة من جيل إلى جيل. ولكنّ الإنسان من فرْط إلْفه بها واعْتِيادِه عليها لا يبْصر سر قوّتِها ووجه الجدة فيها، فقد تسلّمها من أسلافِه وفرط في حقِّها، فلم يوفِّها ما تستحق من العناية والرّعاية، حتى باتت مهدّدة بالزّوال، وهذا مظهر من مظاهرِ غُرْبَتِها بين أبنائها وذويها.

واللغة هي أصَواتٌ يُعَبِّر بها كل قوم عن أغراضهم وجمعها : لُغًى، ولُغاتٌ. واتفق اللغويين على أن تعريف اللغة (حماد، ١٤٢٤هـ:٣٢): (علم اللغه Linguistics) هو

ISSN 2598-0637

الدراسة العلمية للغة ويعنى ذلك أن ندرس اللغه في ذاتها ولذاتها أي بعيدا عن التأثير بأية آراء سابقة وبدون الميل أو التعصب كما ينبغى أن تقوم هذه الدراسة على أساس جمع المادة اللغوية وإبداء الملاحظات العلمية حولها ثم فرض الفروض واختبار صحة الفروض لاستنتاج القواعد أو استخراج النتائج العلمية. وتعريفها كما عرفها ابن جني على أنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(بن جني، ١٩٩١:٣٦).

وتعد اللّغة العربيّة من اللّغات العالميّة الأكثر انتشاراً في العالم، وتعتبرُ من إحدى اللّغات المُعتمدة في الأمم المُتّحدة، كما إنها تشكّلُ اللّغة الأولى في مناطق بلاد الشّام، وشبه الجزيرة العربيّة، وشمال أفريقيا، وساهم هذا الانتشار الواسعُ للّغة العربيّة في تصنيفها كواحدةٍ من اللّغاتِ التي يسعى العديدُ من الطُلّاب إلى دراستها، وخصوصاً غير الناطقيّن بها؛ من أجل التعرّفِ على جمال كلماتها. كما أنّها من اللّغات التي ظلّت مُحافظةً على قواعدها اللغويّة حتّى هذا الوقت؛ لأنّها لغة الإسلام والمسلميّن والقرآنِ الكريم، كما أنّ الثّقافة العربيّة غنيّةٌ جدّاً بالعديد من المُؤلّفات، سواءً الأدبيّة، أو العلميّة، أو غيرها، والتي كُتِبتْ بِلُغَةٍ عربيّة فصيحة، ويصل العدد الإجماليُّ لحُروفِ اللّغة العربيّة إلى ثمانيّة وعشرين حرفاً (١٩٩٩م:١٣١-١٣٢).واللّغة العربيّة هي لغة الإسلام، والقرآن الكريم، والأحاديث النبويّة الشّريفة، وساهم ذلك في تعزيز قيمتها ومكانتها عند العرب والمسلمين (الباتلي، ١٤١٢هـ:٩-١٠).

مقومات وخصائص الحضارة الإسلامية

إن لكل حضارة من الحضارة أسس تقوم عليها، فاذا نظرنا إلى الحضارة الاسلامية وجدنا شأنها شأن الحضارات الأخرى بأنها لم تظهر من العدم وإنما كان لها أسس قامت

عليها، ونتيجة لهذه الأسس تشكل المنهج الفكرى للأمة الاسلامية، وقد أجمعت المصادر والدراسات العلمية على أن الحضارة الإسلامية قد قامت على أسس إسلامية أصيلة في مقدمتها القرآن الكريم الذي يعتبر الأساس الأول في بناء الحضارة الاسلامية باعتباره المصدر الاول للاسلام وحجر الزاوية الذي تقوم عليه الشريعة الإسلامية. ولنطف سريعا لنرى بعضا من مقومات الحضارة الإسلامية التى كان أساسها من منطلق القرآن الكريم ومقاصده(السايح،١٩٧٧م:٨١).

حضارة إيمانية ربانية

يعد الإيمان هو جوهر طريق السعادة والداعي الأكبر إلى تحصيل العلم وصناعة الحضارة، وكل حضارة لم تقم على الإيمان بالله وتوحيده هي حضارة متصارعة من داخلها، متحاربة بين أجزائها، يهدم بعضها بعضًا؛ حيث يُتَّخذ فيها من دون الله آلهة أخرى باختلاف الأسماء، وهو ما يؤدي إلى فساد الحياة الإنسانية وشقائها!! قال تعالى:لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُون (الأنبياء: ٢٢)، وقال تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُون(المؤمنون: ٩١)، وقال تعالى:قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آَلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (الإسراء: ٤٢). وانعكاس هذا هو ما حدث ويحدث لكثير من الحضارات؛ فتزيغ عما أرادت، وتنحرف عما توجهت له؛ فتجلب للبشرية الشقاء والويل. قال الله تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(التوبة: ٣١).

ويرتبط معنى أن (الحضارة الإسلامية حضارة ربانية) بالفكرة الإسلامية كلها، وتقوم الفكرة الإسلامية في مسألة الفعل البشري، على أساس أن الله – تعالى – قد فتح

ISSN 2598-0637

الحرية للإنسان ابتداء؛ فإذا كان الكل يسير بإرادة الله، فإن إرادة الله لا تنفي إرادة البشر، ومن ثم مسئوليته عما يفعل، وما دام العبد لا يطلع على علم الله، وما قدر له في الأزل، وما تعلقت به إرادة الله – سبحانه – وما لم تتعلق به، فإن أعماله التي تصدر عنه، تكون عن إرادة لها، وقصد إليها، واختيار وحرية في القيام بها (بيصار، ١٤٩:١٩٧٨-١٥٠). ولا يعني أن حضارة الإسلام حضارة ربانية، أنها تتم بيد الله –سبحانه وتعالى – بمعزل عن وعي البشر، وإنما معناه أنها تتحقق بجهد البشر، وإرادتهم وسعيهم وكدهم وخطئهم وصوابهم، فالحياة كلها عبادة، والأرض كلها مسجد. وإذا كان الله – تعالى - هو الذي يرزق عباده، على نحو ما يتردد كثيرًا في كتاب الله الكريم، فإن تكفل الله رزق عباده، إنما هو في إيداعه موارد الرزق في الكون، وأسباب كسبه في الإنسان، وفي تنظيمه لتوزيع هذه الأرزاق، عن طريق الأديان والشرائع، وعلى الإنسان الإفادة من نعم الله المادية والروحية، لإحسان كسب هذه الأرزاق، وإحسان تداولها واقتسامها"(ميرزا، ١٦:١٩٦٢).

حضارة عَالمية

إن الإسلام هو أفضل دين للبشرية؛ فالإسلام يتغلغل في حياة المسلم بكل تفاصيلها، بل له الكلمة الفصل في كل نشاط يقوم به المسلم، وليس هناك أي دين آخر غير الإسلام لديه الإمكانية لحل كافة مشكلات الناس في العالم الحديث، وهذا هو امتياز الإسلام وحده. الإسلام دين عالمي جاء لصلاح كل زمان ومكان، ولكل لغة وجنس، ولكل لون وعرق، قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (سبأ: ٢٨) وقال تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (الفرقان: ١). وقال تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (الأعراف: ١٥٨).

إن القرآن حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة جعل حضارته عقدًا تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب، والأمم التي خفقت فوقها راية الفتوحات الإسلامية، ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد، وأمة واحدة، إلا الحضارة الإسلامية، فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب، فأبو حنيفة ومالك والشافعي، وأحمد، والخليل وسيبويه والكندي والغزالي والفارابي، وابن رشد، وأمثالهم ممن اختلفت أصولهم، وتباينت أوطانهم ليسوا إلا عباقرة قدموا من خلال الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنساني السليم. فعالمية الرسالة الإسلامية تكون بعدم اختصاصها بجنس من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقها في إقليم خاص، أو بيئة معينة، وبامتدادها أزمانًا طويلة، تخلد فيها بعد العصر الذي فيه، وبدون ذلك لا يتحقق معنى العالمية في أي دعوة (الخطيب، ١٩٨٦:٢٠١).

حضارة علم وتعمير وبناء

قد عني الإسلام عناية كبيرة بالعلم، وأن أولى آيات القرآن تحث على التعليم، قال تعالى:اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (العلق : ١-٣). وقد أكد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فضل السعي في طلب العلم: من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة. فالعلم يمثل مقومًا مهمًّا من مقومات البناء الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات لما يترتب على مفاهيمه وتطبيقاته من آثار واضحة على مسيرة الإنسان الحضارية (الخطيب، ١٩٨٦:٢٦١).

حضارة أخلاق

ISSN 2598-0637

والخُلق في الإسلام عبادة، بل أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن غاية بعثته تتمثل في إتمام مكارم الأخلاق، فطريق الحضارة والسعادة طريق أخلاقي يحث على مكارم الأخلاق ومحامد الأفعال، والأخلاق في الإسلام شاملة لكل نواحي الحياة، مثل تعامل الإنسان مع نفسه ومع الله ومع الآخرين، كما تشمل التعامل مع المسلم والكافر ومع الصغير والكبير والرجل والمرأة والموافق والمخالف؛ فأمر الإسلام بالكرم والشجاعة والعدل والرحمة والتواضع وحسن الأدب في التعامل والصدق والحياء والحلم وسلامة القلب ومحبة الخير وغير ذلك، فقال تعالى في تقرير أهمية ووجوب العدل حتى مع المخالف: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (المائدة: ٨).

حضارة العقل والتفكر

من روائع الإسلام أنه يقوم على العقل، وأنه لا يطالب أتباعه أبدًا بإلغاء هذه الملكة الربانية الحيوية، كما أن الإسلام يشجع البحث والاستفسار، ويدعو أتباعه إلى الدراسة والتنقيب والنظر قبل الإيمان، إن الإسلام يدعو للتمسّك بالخير والأخذ به من أي وعاء خرج، وليس هذا غريبًا؛ إذ إن الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها، فالإسلام دين العقل والمنطق؛ لذلك نجد أن أول كلمة نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلمة (اقرأ)، كما نجد أن شعار الإسلام هو الدعوة إلى النظر والتفكر قبل الإيمان؛ فالإسلام هو الحق وسلاحه العلم، وعدوه اللدود هو الجهل. وليس في الدين الإسلامي كهنوت لا يمكن السؤال عنه أو سر لا يمكن تدبره، بل أمر الله بالتدبر والتفكر في آياته وفي الخلق وفي الأمم، قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار

(آل عمران: ١٩١). وقال تعالى: كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (يونس: ٢٤)، وقال تعالى: بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل: ٤٤). وقال تعالى: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (الروم: ٨)، وقال تعالى:وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون (الحشر: ٢١). بل علَّمنا سبحانه وتعالى أن العلم ليس مجرد الظنون بل لا بد أن يكون عليه برهانًا يقوم به، فقال تعالى:قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (البقرة: ١١١). فلا أسرار لا يعلمها أحد أو كهنوت لا يفك سره أحد.

حضارة الإسلام الداخلي والخارجي

إن القرآن يضع حلًّا عبقريًّا لمشكلات العصر الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية؛ ولهذا لا يمكن الشك في حكم القرآن نظرًا لنجاح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة التي أمره الله بتبليغها. والسلام الداخلي يعني سعادة الإنسان الداخلية ونجاته من الصراعات الداخلية التي تعصف بكثير من الناس في الحضارة المعاصرة؛ بحيث تتعايش الدنيا والآخرة في فكر الإنسان بسلام، وتتعايش العبادة والعمل والعمارة، وتتعايش الروح والمادة، ويتعايش العلم والدين، إن السلام الداخلي في الحضارة الإسلامية معلم واضح ناتج عن التوحيد الذي يجمع كل ما سبق في نفس المؤمن بيسر وسهولة؛ ففي الإسلام الدنيا ليست غاية أوهدفًا في حد ذاته، بل هي مزرعة للآخرة وممر ومعبر إليها، وهذا واضح في قول الله تعالى: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

ISSN 2598-0637

(القصص: ٧٧). وقوله تعالى: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الجمعة: ١٠).

حضارة الصفاء والمحبة

توجب الحضارة الإسلامية على أفرادها أن يكونوا أصحاب قلوب سليمة ونفوس صافية، قال تعالى حكاية عن دعاء المؤمنين: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (الحشر: ١٠). وقال صلى الله عليه وسلم"لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يَحِلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ" وقال صلى الله عليه وسلم حاثًّا على المحبة والألفة"والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشُوا السَّلام بينكم. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم "أيُّ الناس أفضل؟ قال كل مَخْمُومِ القلب، صَدُوق اللِّسان، قالوا: صَدُوقُ اللِّسَان نعرفه، فما مَخْمُومُ القلب؟ قال: هو التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لا إثم فيه، ولا بغيَ، ولا غِلَّ، ولا حَسَد".

حضارة روحية مادية

جاءت الحضارة الإسلامية بإشراقات الروح، وفي نفس الوقت لم تنس المادة ولم تهملها؛ فلقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من مادة وروح، وأمده بكل أسباب الحياة في جانبيها المادي والروحي؛ فهيأ للجسم البيئة الصالحة التي يعيش فيها على وجه الأرض، وهيأ سبحانه وتعالى للجانب الروحي غذاءه من وحي السماء الذي نزل إلى الإنسان على يد رُسل الله تعالى، قال الله عز وجل عن خلق الإنسان من مادة وروح: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ

إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (الحجر:٢٨- ٢٩).

القرآن الكريم أساس اللغة العربية

نزل القرآن الكريم باللغة العربية، فأحياها، وضمن بقاءها، ونشرها في كل مكان وصلت إليه الدعوة، وأقبل الناس على تعلم اللغة العربية بحماس في العصور الإسلامية الأولى، ثم انحسر تعليمها، وقلَّ الإقبال عليها في العصور المتأخرة، حتى أطلَّ القرن العشرون –وبخاصة النصف الثاني منه- فعادت العربية سيرتها الأولى، فأصبحت اللغة الثانية، التي تعلم إجبارياً في كثير من البلاد الإسلامية: في إفريقيا، وجنوب شرق آسيا، كما أنها إحدى اللغات التي يقبل على تعلمها الكثيرون في أوروبا وأمريكا. والقرآن رسالة السماء إلى الأرض، فمن أراد أن يفهمه على هذا النهج فقد وقف بنفسه على مواطن العظمة، ومواضع الإعجاز فيه. ومن أراد أن يعرف أثره في اللغة العربية فلينظر ذلك الأثر في حياة المسلمين عقيدة وسلوكاً، ليرى ذلك واضحاً وجليًّا . ولكن قد تَقْصُر الأفهام عن المراد من آية من آياته، فيُظَنُّ أنها جاءت على غير ما تعارف عليه أهل اللغة.

وقد يعْجز البصر عن الوصول إلى إعجاز نحوي جاء في أثناء آية، فيذهب الظن إلى أن القرآن قد تجاوز قواعد اللغة وما تعارف عليه أهلها، وهذا -لاشك -قصور وعجز في الإنسان عن إدراك لغة القرآن وأساليبه البيانية، فهو كتاب رب العالمين، ومحال أن يناله تجاوز أو خطأ أو مجافاة للذوق اللغوي، فضلاً عن أنه أساس اللغة العربية، ومنه تُستنبط القواعد اللغوية. وفي هذا السياق سنقف على بعض الأمثلة، التي قد يُظن أن فيها خطأ نحوياً، أو أنها تجافي لسان العرب ومعهودهم، ونبين توجيه العلماء لها.

ISSN 2598-0637

والمثال الأول: قوله تعالى: إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (آل عمران:٥٩). والإشكال الذي قد يَرِد هنا، قوله تعالى"فيكون" حيث جاء الفعل مضارعاً، مع أن الحَدَثَ قد حصل وانتهى. وأُجيب عن هذا بأن الفعل جاء حكاية لحال ماضية، فيجوز فيه الوجهان، فلا إشكال إذن.

والمثال الثاني: قوله تعالى: والله ورسوله أحق أن يرضوه(التوبة:٦٢). والسؤال، لماذا جاء الضمير في قوله تعالى:(يرضوه) بصيغة المفرد؟ وأُجيب عن ذلك بأنه لا فرق ولا تفاوت بين رضا الله تعالى، ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم، فكانا في حكم مَرْضيٍّ واحد، كقولك: إحسان زيد وإكرامه نعشني وجَبَرَ مني. ولك أن تقول: هو من باب التقديم والتأخير، وعلى هذا يكون المعنى: والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك. وهذا من البلاغة أيضاً، فتنبه إليه.

المثال الثالث: قوله تعالى: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (يوسُف:١٥). فإن قلت: أين جواب "لَمَّا"؟ قلنا: جوابها محذوف؛ لاستطالة الكلام مع أمن الالتباس، ولأن في الآية ما يدل عليه، وهو قوله تعالى :"وأوحينا إليه"والحذف أولى من الإثبات، للوجازة والبلاغة

المثال الرابع: قوله تعالى: هذان خصمان اختصموا في ربهم (الحج:١٩). قد يُشْكِل في الآية مجيء الفعل"اختصموا"بصيغة الجمع، مع أن الفاعل"خصمان"قد جاء بصيغة المثنى. وأجابوا عن ذلك، بأن قوله تعالى:(هذان خصمان)هو لفظ، فكل خصم فريق، وكل فريق مؤلَّف من عدد من الخصماء، وقوله:تصمواهو للمعنى -وهو مجموع الخصماء- لا للفظ -وهو الخصمان- فناسب أن يقول:اختصموالأن كل فريق من الذين كفروا والذين آمنوا كبير. وليس في شيء من هذا ما تأباه اللغة، وذلك ظاهر لمن خبُر العربية وتذوقها.

وهكذا يتضح بكل جلاء أنه لا تعارض بين ما جاء في القرآن الكريم وبين بعض القواعد التي أصَّلها أهل اللغة والنحو، وإن كان شيء من هذا القبيل، فمردُّه إما إلى الاختلاف في نفس القاعدة، وإما إلى الجهل بأساليب اللغة العربية، التي هي في الأساس مستخْلَصة من لغة القرآن، ولاشك أن كتاب الله هو الحجة البالغة، والمرجع الأساس في جواز شيء من الكلام، أو عدم جوازه، لذا كان أحق أن يُتَّبع، والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

أثر الحضارة على العقيدة والفكر والثقافة والأدب واللغة

لا خلاف في أن الحضارة هي مجموعة من تلاقح ثقافات وإنتاجات شعوب مختلفة وما أحرزه الإنسان من تقدم في مختلف العلوم والآداب والثقافات والنشاطات التي مارسها الإنسان علي مدي التاريخ والتي تقدمت بشكل أكبر كلما تقدمت الوسائل الحاملة لها، فمن الوسائل البدائية إلى التقنيات المتطورة إلى ما توصل إليه العقل البشري المعاصر. وإذا كان التقدم الحضاري في الجانب المادي أوسع وأكبر من الجانب المعنوي والأخلاقي والذي كان له الأثر الواضح في ذلك فالباحث يحاول في هذا المبحث سيتناول الحديث عمّا أخذته الحضارة الغربية من علوم وثقافة عن المسلمين كان لها الأثر الكبير في تقدم الغرب الذي كان يعيش في ظلام وظلمات كما هم يعترفون بذلك كقول الباحثة الألمانية «زيفريد هونكه»: إن العرب (المسلمين)طوروا بتجاربهم وأبحاثهم العلمية وما أخذوه من مادة خام عن الإغريق وشكلوه تشكيلا جديدا فهم في الواقع الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم علي التجربة، فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه، يتدرج من الجزئيات إلي الكليات، وعلي هذا الأساس ساروا في العلوم

ISSN 2598-0637

الطبيعية شوطا كبيرا أثر فيما بعد بطريق غير مباشر علي مفكري الغرب وعلمائه أمثال روجر باكون وماكنوس وقيتليو ودافنشي.

إن العرب (المسلمين)هم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والمثلثات وعلم الاجتماع وبالإضافة إلي عدد لا يحصي من الاكتشافات والاختراعات في مختلف فروع العلوم والتي سرق أكثرها ونسب لآخرين. قدم العرب (المسلمين) أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم.

وكان الغرب قد انبهر بنتاجات علماء المسلمين الذين برعوا في مختلف العلوم كالمقدسي في الجغرافية في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وهو كتاب شامل، والبلخي والإدريسي صاحب كتاب (نزهة المشتاق) الذي أشار إلى كروية الأرض وكذلك ابن حوقل وغيرهم أمثال ابن جبير وابن بطوطة والهروي، وكذا فلاسفة المسلمين ومؤلفاتهم التي شغلت الغرب حتى يومنا هذا كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم، وكذلك ابن خلدون في الاجتماع، فضلا عن جابر بن حيان عالم الجبر والكيمياء، ومحمد بن موسى الخوارزمي الذي تعمق بدراسة الجبر، وابن الهيثم الذي برع في الفيزياء، وعلم البصريات وعارض إقليدس وبطليموس بزعمهما أن العين ترسل إشعاعات إلى الشيء المنظور فتمكن من رؤيته، وأصر ابن الهيثم أن عملية الرؤية تحدث عندما يرسل المنظور إشعاعات تدخل العين والذي يرجع اكتشاف آلة التصوير إلي فرضياته وتجاربه.

لقد برع المسلمون كذلك في الصيدلة والطب وتحضير الحوامض أمثال الرازي والزهراوي الذي اشتهر بالجراحة، وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية. ويقول المؤلف الأمريكي المعاصر (ول ديورانت) :إن العلوم العربية (الإسلامية) تمت في علم الكيمياء

الطريقة العلمية التجريبية وهي أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخره ولما أعلن روجر بيكن هذه الطريقة إلي أوروبا كان قد أعلنها جابر بن حيان قبله بخمسمائة عام وكان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل عن عرب الأندلس ، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبسا من نور المسلمين في الشرق.

وحينما نتمعن في تاريخ الحضارة نجد أن حضارة المسلمين كانت الحضارة المعتمدة وعلومهم كانت هي السائدة وبشهادة الغربيين أنفسهم ، فهذا (ارنست بانرث) المستشرق الألماني يقول : لا شك أن الحضارة الإسلامية ارتفعت في القرون الوسطي إلى علوم لم ينته إليها قوم آخرون. ولا يخفي أن هذا الاعتلاء كان ثمرة الاجتهاد في كل نواحي الثقافة وتطبيق الطرق العلمية، ثم يؤكد كلامه في اقتباس الأوروبيين لهذه الثقافة وتمسكهم بها لتحقيق مآربهم فيقول: قامت ريح جديدة تهب علي أوروبا حيث إن الأوروبيين قد عرفوا أن طرق العرب العلمية كانت أنسب لمعرفة الحق من التقليد الصرف الذي كانوا متعودين عليه منذ قرون.

ثم يعود (بانرث) ليقول :وأول من قلد العرب في التجربة الراهب - روجر بيكون - في انكلترا، وحتى الآن يشكر علماء الطبيعة في أوروبا العرب علي إدخال طريقة التجربة العلمية التي دلت علي التطور والحديث في جميع الميادين. ويقول عالم آخر وهو الباحث الأمريكي (ميلر بروز) :في العصر الذهبي للثقافة الإسلامية كان علماء المسلمين يضعون أسس العلم الحديث.

إن الحديث عن تأثير الثقافة الإسلامية قد يطول بنا ويطول إذا ما عرفنا أن الغرب كان أشبه ب (صحراء قاحلة) لم ينبت فيها أي شي ء ويغطيها ظلام دامس شديد وتغلفها أفكار الكنيسة المثبطة التي لا تتماشي والعلم خوفا علي مقامها ومركزها في

ISSN 2598-0637

المجتمع الذي أغرقته طويلا في خرافات وترهات ما أنزل الله بها من سلطان، بما تمليه من كونها الرب الذي يأمر وينهي ويحلل ويحرم ويوافق ويرفض، حيث كانت الحضارة الإسلامية تشق طريقها وتنشر علومها وثقافتها في الأصقاع انطلاقا من مبادئها القرآنية السامية وآدابها الحميدة. لكن الغرب بعد أن سيطر علي بلاد الإسلام وأخذ علومه وآدابه وفلسفاته وتجاربه أحاله إلى هشيم عن طريق محاصرته بالحكام العملاء الخونة الذي أخروا شعوبهم مئات السنين ثم حجزوا علومهم التي أخذوها عن المسلمين وطوروها وأصبحت سرية لا يطلع عليها أحد خوفا من اقتباسها. ولهذا فهناك من أنصفوا أنفسهم ولو بالقول كما تقول الباحثة الإيطالية (لورا فاغليري) وهي تتساءل : ألم يكن العرب أول من اصطنعوا الطرائق التجريبية قبل أن يعلن بيكون ضرورتها بزمن طويل؟ وتطور الكيمياء وعلم الفلك. .أليست هذه من مآثر العرب .

مظاهر تطور اللغة العربية عبر العصور

الإسلام هو العمق الحضاري للغة العربية، تصاب بما يصاب به الدّين من انتشار أو انحسار، وبما يعْتريه من غربة أو ازْدهار، فمن المعروف أنّ اللّغة العربيّة انتشرت بانتشارِ الإسلام وامتداد فتوحاتِه في إفريقيا وآسيا، وكانَ لها من القوّةِ والنّفوذِ ما مكّنها من التغلب على لغات الأمصار القديمة. ويرجع تمكنها إلى بنيتِها الداخليّة ودقّة نظامها وقواعدها وغِنى معجمِها، وإلى آدابِها وتُراثِها الذي يؤسِّسُها، وعلى رأسِ الثّقافةِ التي تسْندها القرآنُ الكريمُ والحديثُ النّبويّ الشّريفُ ببلاغتهما المعجزة، ويرجعُ تمكُّنُها كذلك إلى قدرتِها على التّعبيرِ والإبانةِ عن مختلف جوانبِ الفكر والوجدانِ، ومن أسباب تمكُّنها

أيضًا صلتُها بالإسلامِ؛ فهي لغة مصادر التّشريع ولغة التّعبد؛ يقول الإمام الشّافعيّ: ولِسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ.

ويقولُ ابْنُ تيميةَ رحمه الله: ومَعلوم أنّ تعلم العربيةِ فرضٌ على الكِفايةِ، وكانَ السّلَفُ يؤدِّبونَ أولادَهم على اللّحنِ، فنحن مأمورونَ أمر إيجابٍ أوأمر استحباب أن نَحفظَ القانون العربيّ، ونصلح الألسنةَ المائلةَ عنه، فيحفظ لنا طريقة الكتابِ والسّنّةِ والاقتداء بالعرب في خِطابِها.

وقد ذكرَ ابن تيمية أنّ اللسان العربيّ شعارُ الإسلام وأهله، واللّغات من أعظم شعار الأمم التي بها يتميّزون.

لقد وصلت إلينا اللّغةُ العربيّةُ في تُراثِ الجاهليّةِ مهذّبةً مصقولةً حتّى بلغت مستوى عاليًا من الدّقّةِ، دقَّةِ الدّلالةِ وإحكامِ الصّياغةِ والعبارةِ، استطاعَ معه العلماءُ في عصرِ التّدوينِ وما بعدَه أن يستخلِصوا من تُراثِ الفصحى قواعِدَ النّحو والصّرفِ، والاشتقاق والوضع، وضوابِطَ العروضِ، وأساليبَ البيانِ.

وليست اللّغة العربيّة بدعًا من سائرِ اللّغاتِ في هذا الشّأن؛ فقد كان لها نصيبٌ غير يسيرٍ من التّأثّرِ بالحضارةِ العربيةِ الإسلاميّةِ والتّأثيرِ فيها، وعُرفَ عن العربِ منذ القديمِ اعتزازُهم بلُغَتِهم، وشعورهم بتفوّقها وقدرتها على التّعبيرِ عن أغراضِهم ومستجدّات حياتهم الاجتماعيّة والعقَدية والعلميّة، وكان هذا مظهرا من مظاهرِ تحضّرِ النّاطقين بالعربيّة لأنّهم كانوا يصوغون خيوط أنماطِ حياتهم بنسيجٍ عربيّ خالص، ولا يعتمدون على أنماط أخرى أجنبيّة عنهم إلاّ على سبيل الاستفادة والتّفاعل لا الهيمنة والغزو. بل يعدّ انتقال العرب من الجاهليّة الضّيّقة إلى حضارة الإسلامِ الواسعة أكبر عامل من عوامل نهضة لغتهم ورُقِيّ أساليبها واتّساعِها لمختلف أَنْماط التَعبير، وأهم سبب من أسباب

ISSN 2598-0637

تهذيب لُغَتهم وسمو أساليبها واتِّساع نطاقها وتخلُّصها ممّا عسى أن يكون بها من خشونة وغرابة (الشّافعي، دون تاريخ:٤٢-٥٠).

وعندما أصيب المجتمع العربيّ الإسلاميّ بصدمات الغزو والاستعمار المتتالية تراجعت قدراته الإبداعيّة ومهاراته اللّغوية،وتفكّكت الأواصرُ التي كانت تشدّ اللّغةَ بالحضارة، فتخلّى المتكلّمون عن التّعبير عن أنماط حياتهم، واستعاروا لغاتِ الغزاة، وأكبّ الباحثون على مناهج البحث اللّغويّ في اللّغات الأجنبيّة وأخذوا يطبّقونها على لهجاتهم اليوميّة، حتّى باتَ متداولا عندهم أن العلوم والمعارف تتطوّر في كنف اللّغات الأوربّية فقط، أمّا اللّغة العربيّة فقد احتفظوا لها بصفةِ التّعبير عن التّقاليد والأصالة والذّات لا غير؛ لأنّها بزعمِهم عاجزة عن التّعبير عن أنماط الحياة الجديدة التي تفرضها المدنيّة الغربيّة على العالم. هكذا نظروا إليها! بينما هي في حقيقة الأمر غريبة في بيئتها وبين أبنائها، ولا يمضي يومٌ في مسارِ التّفوّقِ الغربيّ على الأصعدةِ المختلفة إلاّ وتزداد العربيّة معاناة من الإهمال؛ فهي تعاني من انصراف المتكلّمين العرب إلى اللّغات الأجنبيّة بدعوى أنّها لغات الانفتاح على العالم، وانصراف طائفة أخرى إلى لهجات إقليميّة لإحياء ثقافات محلّية، وانصراف طائفة ثالثة إلى اللّهجة العامية الدّارجة بدعوى أنّها لسان الخطاب الشعبي والتداول اليومي. وهذا وضعٌ غير طبيعي فرض على اللّغة العربيّةِ في العالَم العربيّ، بل فُرضَ عليها صراعٌ لغويٌّ مريرٌ بينها وبين تلك اللّهجاتِ.

ويَتّخذُ هذا الصّراعُ في أجزاءِ الوطنِ العربيّ الكبيرِ شكلينِ مختلفينِ، وذلك بحسبِ انفتاحِ هذا البلدِ أوذاكَ على المؤثّراتِ الأجنبيّةِ الوافدةِ أو ضعفِ انفتاحِه عليها؛ فكلّما ازدادَ هذا الانفتاحُ في بلدٍ عربيّ ما ضعفت ملَكةُ أهلِه -على تفاوتٍ بينهم- في أداءِ العربيّةِ الفصيحةِ، وتفاقمت مظاهرُ الازدواجيّةِ والثّنائيةِ اللّغويّةِ في المحاوراتِ، وساعدَ هذا

الانفتاحُ وتلك الازدواجيّةُ على الانسلاخِ المتدرّجِ من المجتمع، وعلى التّطلّعِ إلى المجتمعِ الأجنبيّ وعَدِّ من لم يكتسبْ لغةَ الأجنبيّ وعاداتِه ومعارفَه جاهلاً يفتقرُ إلى أسبابِ التّقدّمِ والحداثةِ، فأصبحَ مقياسُ التّقدّمِ هوالتّجرّد من صفاتِ الذّاتِ وأصولِها وتقمّص خصائصِ الآخَرِ ولغتِه ومعارفِه وعاداتِه (الخولي، ١٩٨٧: ٨).

موقف اللغة العربية بين لغات العالم اليوم

لقد كانت العربيّةُ ركنًا من الأركانِ التي قامَ عليها نظامُ الحضارةِ الإسلاميّةِ بمفاهيمِه ومصطلحاته ودلالاته، قبلَ أن يتمّ السّطو على المُصطلَحات وتحريفُها عن مواضعها لتزييفِ الحقائق وقطع التّواصل بين النّاطقين بها، وهي مُطالَبة بأن تتفوّق على اللّغات الأجنبيّة وتحلّ محلَّها بالتّعريب والتّرجمة وملاحَق المُستجدّات باطّراد، لا أن تظلَّ لغةَ "الأصالة" فحسب - كما زعموا لها - وتترك للأجنبيّةِ أن تكونَ لغةَ التّقدّمِ والتّفتّح، إنّها مُطالَبَة أن تكونَ لغةً أصيلةً متطوّرة حتّى نتمكّن من التّفكير بها، فيتوحّد أسلوبُ التّفكيرِ لدى ملايينِ المسلِمينَ بتوحيدِ أسلوبِ التّعبيرِ عندهم.

لقد استطاعَ الاستعمارُ بكلِّ ما أوتيَ من قُوى أن يستحوذَ على البلدانِ المغلوبةِ على أمرِها، وأن يُنشئَ خطابًا لغويًّا استعماريًّا حولَ اللّغةِ والثّقافةِ يَقْدَحُ في ثقافةِ تلكَ البُلدانِ ويغضّ من شأنِها الحضاريّ والتّاريخيّ، زاعمًا أنّ اللّغاتِ الأوربّيةَ هي اللّغاتُ الحقيقيّةُ التي تحملُ العلمَ والحضارةَ والثّقافةَ، ولا يُحْصَلُ على التّقدّم والرّقِيّ إلاّ بها، ولا يولَجُ عالمُ الحداثةِ والمُعاصَرةِ إلاّ بوساطتِها، أمّا ما عداها فلا يعدو أن يكونَ لهجاتٍ أو لُغَيّاتٍ أولُغاتٍ قديمةً لا تقوى على حملِ الأفكارِ الحديثةِ والمفاهيمِ العلميّةِ الجديدةِ، ولم

ISSN 2598-0637

تلبثْ أهدافُ الخطابِ الاستعماريِّ العُنْصُرِيّةُ أن تغلغلت في نفوسِ كثيرٍ من أبناءِ هذه الأمّةِ، فباتوا يستمسكونَ بها ويُدافعونَ عنها ويتبنَّوْنَها (الودغيري، ١٩٩٣م:٥٣-٥٥).

وهكذا أصبحت العربيّةُ اليومَ تُعاني في ظلِّ الحداثةِ غربةً قاسيةً تُضافُ إلى ملفِّ غُرْبَتِها الثَّقيل. ويشهدُ تاريخُها القديمُ وواقِعُها من بين لُغاتِ العالَمِ اليومَ، أنّها قادِرَةٌ على تحقيقِ النّمو والاتّصالِ، والتّعبير عن المعلوماتِ الحديثةِ، ومواكبةِ التّطوّرِ الجديدِ في الميادينِ المختلفةِ، ويمكنُ أن يكونَ لها أثرٌ بارزٌ في "تحديثِ العقلِ العربيِّ" وتحقيقِ "التّنويرِ" الذي يرفعُهُ المُثَقَّفونَ "الحداثيّونَ "شعارًا من شعاراتِ المرحلةِ الجديدةِ، وباطلٌ ما يدّعونَ من أنّ هذه اللّغةَ لا قدرَةَ لَها على الإسهامِ في "الحركةِ الدّلاليّةِ والتّعبيريّةِ الحديثةِ."

كيف تستعيد اللغة العربية مكانتها في عصر العولمة

وأما الحديث عن كيفية استعادة اللغة العربية لمكانتها في عصر العولمة الحديثة، فسيكون مرهونا بعودة الأمة المسلمة إلى كتاب ربها والتمسك بسنة نبيها وأخلاق دينها. لأن أسباب ارتقاء العرب والمسلمين بالأمس يرجع إلى الإسلام الذي كان قد ظهر في الجزيرة العربية فدانت به قبائل العرب وتحولوا بهدايته من الفرقة إلى الوحدة، ومن الجاهلية إلى التوحيد، ومن القسوة إلى الرحمه، وتبدلوا بأرواحهم الأولى أرواحا جديدة صيرتهم إلى ماصاروا عليه من عز ومنعة، ومجد وعرفان وثروة. فالحديث عن استعادة اللغة العربية لمكانتها ينبغي أن يدور بادئ ذي بدء عن ضرورة استعادة الأمة العربية لدينها ومجدها وكرامتها وعزتها. ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن تأهيل اللغة العربية بعد تأهيل أهلها لمواكبة تحديات الحضارة الغربية، وإحكام العلاقة بين عملية تطوير اللغة وإصلاحها،

وتحسينها وتجديدها وبين المتغيرات التي تعيشها المجتمعات العربية بحيث تكون عملية التطوير استجابة لتطور المجتمع خاصة في عصر تقدم الحضارة الغربية لإعادة الحضارة الإسلامية.كما يجب الاهتمام بالانفتاح على المستجدات في العالم خاصة في مجالات العلوم والتقانة وعلم اللغة الحديث والسعي إلى الاقتباس والنقل والاستفادة الواسعة من نتائج هذه العلوم جميعا في إغناء اللغة العربية وربطها بحركة الفكر الإنساني، فاللغة هي أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد بغيره؛ لأنها وسيلة التفاهم بين الناس وآلة التفكير عند الفرد، وواسطة نقل الأفكار من الآباء إلى الأبناء، ومن الأسلاف إلى الأخلاف. وهناك بعض الكيفيات البسيطة لإرجاع تطور الحضارة الإسلامية من خلال تطور اللغة العربية وهي على النحو التالي:

إعادة احترام اللغة العربية في المجتمع المسلم

إذا كان من المعلوم أن الأمم تواجه قضايا لغاتها؛ فإن اللغة العربية تواجه أيضا قضاياها، وليست متفردة بذلك من دون اللغات؛ بل ربما كانت قضاياها أقل عسرًا للمعالجة إذا ماصدقت النوايا وتوافرت الإرادة في سبيل خدمة اللغة العربية وإنماء الاعتزاز بها، والإيمان بقدراتها، ووضع لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف،في مكانة الشرف والاحترام الذي تستحقه.

تسيير تعليم اللغة العربية في العالم

وتواجه اللغة العربية قضايا مهمة في هذا العصر الذي يتصف بانفجار المعرفة في جميع مجالاتها، ويتميز بهذا التسارع الضخم في تطور العلوم على الأرض، وفي الفضاء الخارجي، وإن هذه القضايا تتعلق بتيسير تعليم العربية ولاتمس إطلاقا إعرابها وصرفها ونظم تراكيبها؛ لأن هذه من الثوابت التي بدونها تفقد اللغة مقومتها الأصلية، فالعربية

ISSN 2598-0637

ثابتة من حيث نطقها ونحوها وصرفها، ونامية من حيث أساليبها ومفرداتها ودلالات ألفاظها. وهذه هي الخصائص التي تمتاز بها العربية من بين جميع اللغات الموجودة في العالم. والتسيير في تعليم اللغة العربية في العالم من الطرائق المحتاجة في تطور الحضارة الإسلامية واللغة العربية نفسها.

إعادة النظر في أمر تعليمها تعليمًا صحيحًا

وفي هذا السياق يشير العالم السوداني البروفسير عبد الله الطيب- رحمه الله- بقوله : لابد من العمل على إعادة اللغة العربية إلى بعض ماكان لها من مكانة في حفظ الثقافة والعزة القومية والمعارف الإسلامية، من إعادة النظر في أمر تعليمها تعليمًا صحيحًا بغرض التفهيم لابغرض تجاوز العزائم إلى الرخص، والرخص إلى اللحن، واللحن إلى العجمة وشبه العجمة .ولايكون التعريب الحق باستخدام ألفاظ عجمية وجمل عجمية، ونصوص عجمية حروفها وبعض نطقها وتركيبها كأنه عربي، إنما يكون التعريب الحق بأداء عربي الروح عربي الأسلوب مبين (الطيب، ١٩٩٨:٥٣٧).

تثقيف اللغة العربية على جميع المجالات للأمة في العالم

وبذلك ترتقي اللغة العربية إلى المستوى الذي تتمكن فيه من التعامل الإيجابي مع تحديات العولمة في الحاضر والمستقبل. وقد حان الوقت أن تصبح اللغة العربية جزءًا من حياتنا اليومية في المدرسة والبيت والمصنع، وأن تغدو الثقافة العلمية جزءًا من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحافي والأديب وصاحب الاختصاص الفني (مجلة لسان العربي، ١٩٩٨:٥٣٧). بل يجب علينا إدخالها لمنظومتنا التربوية وإعطائها دورًا مركزيًا في الخطاب اليومي في البيوت والمساجد والشوارع والمؤسسات العامة والخاصة.

تكثير الاستخدام المتزايد والجاد للعربية من خلال شبكات المعلومات العالمية

لاريب أن مستقبل اللغة العربية يرتبط باستخدامها المتزايد والجاد في شبكات المعلومات العالمية، وهذ الأمر يتطلب جهودًا كثيرة على المستوى اللغوي، وعلى مستوى تقانات المعلومات حتى نجد المؤسسات العربية تتعامل باللغة العربية. وهذا أحد تحديات المستقبل القريب لتكون اللغة العربية مع اللغات العالمية الكبرى بوصفها وسيلة لنقل المعلومات بالتقانات المتقدمة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تنال البركات، وبتوفيقه تنال الهدايات وترفع الدرجات. أحمده على نعم لا تحصى، وآلاء لا تستقصى، وأصلي وأسلم على صفوة خلقه وأفضل رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ...

أقدم في خاتمة هذا البحث أهم ماتوصل إليه من نتائج وتوصيات على النحو التالي: أولا: أهم النتائج

١- إن اللغة العربية من اللّغات التي ظلّت مُحافظةً على قواعدها اللغويّة حتّى هذا الوقت؛ لأنّها لغة الإسلام والمسلميّن كما أنها لغة القرآنِ الكريم.

٢- إن القرآن الكريم هو الأساس الأول في بناء الحضارة الاسلامية باعتباره المصدر الاول للاسلام وحجر الزاوية الذي تقوم عليه الشريعة الإسلامية.

٣- من أهم خصائص الحضارة الإسلامية أنها ربانية عالمية متوازنة روحيا وماديا تحريرية للفكر والعقل من الخرافة ال من بين لُغاتِ العالَمِ اليومَ جمود.

٤- تعاني اللغة العربيّةُ من بين لغات العالم اليومَ في ظلِّ الحداثةِ غربةً معاناة قاسيةً تُضافُ إلى ملفِّ غُرْبَتِها الثَّقيل.

ISSN 2598-0637

٥- إن أول خطوة في استعادة اللغة العربية لمكانتها بين لغات العالم هي عودة أهلها لدينهم وقيمهم

ثانيا: أهم التوصيات

١- ضرورة إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية تعليمًا صحيحًا وفق المناهج والخطط التدريسية والاهتمام بتدريب المعلمين الذين يتصدون لعملية التدريس .

٢- ضرورة مواكبة التقنيات المعاصرة والوسائل الحديثة والترويج للغة العربية والتشجيع علي تعلمها وتعليمها.

المراجع والمصادر

Louis-jean Calvet "Linguistique et colonialisme" :، للكاتب الفرنسي سنة ١٩٧٤، وقد ترجم فصلاً منه إلى العربيّةِ الأستاذ الدّكتور عبد العليّ الودغيري، مع مجموعةٍ من المقالات ضمن كتابِه" :الفرنكفونيّة والسّياسةُ اللّغويّةُ والتّعليميّةُ بالمغرب"، (الذي ضمّ مجموعةً من المقالات التي عرّبَها وقدّم لها وعلّقَ عليها .والكتاب من منشوراتِ العلَم، السّلسلة الجديدة-٧، الشّركة المغربيّة للطّباعة والنّشر، الرّباط، ط.١، ١٩٩٣م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. ١٤٠٩.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١ هـ. لسان العرب. ط ١. بيروت: دار صادر د.س

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد النيسابوري، صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. ط دار إحياء التراث العربي بيروت. المجلد: ٤ سنة: ١٩٨٣م.

أبو داود السجستاني، سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط المكتبة العصرية، صيدا – بيروت د.ت.

أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفي صحيح البخاري، ت.٢٥٦)، تح. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط. ٣، ١٤٠٧-١٩٨٧م.

أحمد الباتلي، أهمية اللغة العربية (الطبعة الأولى)، الرياض - المملكة العربية السعودية: دار الوطن للنشر، سنة: ١٤١٢هـ

أحمد بن تيمية، اقتضاءُ الصّراطِ المستقيم، تصحيح وتعليق: محمّد عليّ الصّابوني، مطابع المجد التّجاريّة، د،ت.

أحمد عبد الرحيم السايح، الحضارة الإسلامية، ط الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

أمين الخولي، مُشْكِلاتُ حياتِنا اليوميّة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب،١٩٨٧م.

سليمان الخطيب : أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي ط ١، ١٩٨٦م ص : ٢٠١.

صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، ط.٦، ١٩٧٦،م.

طه خضر عبيد. الحضارة العربية الإسلامية. ط ١. بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م ١٤٣٣هـ

عادل زعيتر، عن كتاب تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨م.

عائشة (http://www.ansarsunna.com/) عبد الرّحمن، لُغتُنا والحياة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩،م.

عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون – المقدمّة - دار الجيل، بيروت – دون تاريخ.

عَبْد الرَّحْمنِ بْن مُحَمَّد بْن قاسِم، مَجْموعُ فَتاوى شَيْخِ الإِسْلامِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ: جَمْع وتَرْتيب: ، مَكْتَبَة الْمَعارِف، الرِّباط، ط. ٢، ١٤٠١-١٩٨١م.

عبد العلي الودغيري، الفرنكفونيّة والسّياسة اللّغويّة والتّعليميّة الفرنسيّة بالمغرب، ، الشّركة المغربية للطّباعة والنّشر، الرّباط، ط.١، ١٩٩٣م.

عبد القادر الفاسي الفهري ، المقارنة والتّخطيط في البحث اللّساني العربي، ، دار توبقال للنّشر، البيضاء، ط.١، ١٩٩٨م.

عبد الله الطيب، مشكلة الأداء في اللغة العربية: (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد: ٧٣، يوليو١٩٩٨م.

علي عبد الواحد وافي، اللّغة والمجتمع، مط .عيسى بابي الحلبي وشركاه، دار إحياء الكتب العربية، ط.٢، ١٣٧٠-١٩٥١م.

عماد الدين خليل عن شمس الله، قرارات في التراث المعرفي الإسلامي، ، تسطع علي الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي.

القرآن الكريم.

كويلر يونغ، الشرق الادني - مجتمعه وثقافته - ، ترجمة دكتور عبد الرحمن محمد أيوب، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، د، ت.

لوثروب نستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.

محمد أحمد حماد،علم اللغه العام.ط١.المملكة العربية السعودية.مكتبة الملك فهد الوطنية سنة ١٤٢٤هـ

محمّد بن إدريس الشّافعي، الرّسالة، تح. أحمد محمّد شاكر، دار الفكر، بيروت، د،ت

محمد حسين ميرزا: الإسلام وتوازن المجتمع، تحقيق فتحي عثمان، رقم (٣٥) من سلسلة الثقافة الإسلامية، دار الثقافة العربية للطباعة، ذو القعدة ١٣٨١هـ، مابو ١٩٦٢م.

محمود بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، ط ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨م.

مصطفى صادق الرّافعي رحمه الله، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة ، مَجْموعةُ مُصْطَفى صادِق الرّافِعِيّ، صَحَّحَهُ وضَبَطَ كَلِمَهُ وحَقَّقَ أُصولَهُ وعَلَّقَ بَعْضَ حَواشيهِ وقَدَّمَ لَهُ: الأُسْتاذُ مُحَمَّد سَعيد الْعرْيان. دار الْكِتاب الْعَرَبِيّ، بَيْروت، ط. ٢، -1420 1999، م.

منهجية بناء المصطلحات مجلة «لسان العربي»، العدد: ٥٢، الجزء:٣، الرباط، يوليو١٩٩٨م.

منير البعلبكي ، «دفاع عن الإسلام » ، ترجمة ، ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٧ م.

الموسوعة العربية العالمية ، الموسوعة العربية العالمية ، المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، جزء ٢١. سنة ١٩٩٩م.

مونتكري واط، ترجمة عادل نجم عبود، تأثير الإسلام علي أوروبا في العصور الوسطي ، ، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٢م.

ميخائيل نعيمه بين العامّيّة والفُصحى، الأعمال الكامِلة ، دار العلم للملايين، بيروت، ط.١، مارس ١٩٧٣م

نصر محمد عارف. الحضارة الثقافة المدنية. ط ٢. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ ظ/١٩٩٤م.

ISSN 2598-0637

يوسف كرم، كتاب تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، دار الكتاب المصري د، ت.

المراجع من الشبكة الدولية

http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=11572

http://faculty.ksu.edu.sa/Hassan/Courses/.doc

http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%84%D8%BA%D8%A9

https://civilizationlovers.wordpress.com/2011/10/24/

https://vb.tafsir.net/tafsir36386/#.Wb9RbMjbnMw